اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول
النصرة والثاني اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء عين ما كان عليه
وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة
لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده
ان الخطاب معهم ولرده عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وإذ نجيناكم من
آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء
اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابكم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل
لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون
لقب لملوك العمالقة ككسرى لملوك الفرس وقيصر لملوك الروم وخاقان لملوك الترك ولعتوهم اشتق
منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه
وليد من بقايا عاد وقيل كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق
بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم فقال في نفسه
ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى
السوق فكل من لقيه من المساكين اخذ واحدة بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها
بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان
قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر
فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع
في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب
منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك من هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون
فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد
الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من
المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياه فسار بهم
سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا
طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان و
فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه و
اقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم

والجملة

والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميرهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما
فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قضاء الله عز وجل شيئا فقتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود او تسعين الفا وقد
اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو
كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء
او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء
نسائهم اي استبقائهن على الخوف محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال
في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه
محالا وكان يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان
يشار بذلك الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى
بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم
صفة البلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء
والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر في المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان
لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف
ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله
تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ
بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم
الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل
وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم
وقيل شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم
وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم
بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون
وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها
وظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا
نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا
اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)